الصباح الإسلامية
09
العدد 2290 - السنة الثامنة
الأحد 5 محرم 1437 - الموافق 18 اكتوبر 2015
Sunday 18 October 2015 - No.2290 - 8th Year

إعداد : ياسر السيد

هاتان الكلمتان مقدستان وعندما يريد الإنسان أن يصورهما لنفسه يشعر بخروج نورٍ يسطع منهما يلامس قلوب العارفين

العفو والتسامح .. ودورهما في تقدم المجتمعات

- من أهم الأشياء التي جاء الإسلام من أجل صيانتها والحفاظ عليها هي الأنفس ودماء الآخرين

- بناء الحضارات لا يكون إلا بنبذ البغض والاستعداد التام للتعاون بين الأفراد والأمم والشعوب

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. (سورة الاعراف/199)

إن المصطلح القرآني العفو والتسامح والمسامحة كلها مفردات ذات دلالات كبيرة، يصل مداها ليلامس قلوب الآدميين، فيزرع فيها المحبة والاحترام، والود والوئام.

التسامح في اللغة أصلها: سَمَحَ، فالسين والميم والحاء أصل يدل على سلامة وسهولة.

والسماحة والسماح: الجود، سمح به: أي: جاد به، وسمح لي: أعطاني، فالمسامحة: المساهلة. (1)

والتسامح في الاصطلاح: هو ما تميّز به الإسلام في تعامله من بذل ما لا يجب تفضلاً. (2)

إن مفهوم التسامح أو العفو- بغض النظر عن الفارق بين مدلول الكلمتين - من المفاهيم التي تدعو إلى بناء المجتمع الفاضل، و زرع روح المحبة والتعاون في نفوس الأفراد، وهو - أي مصطلح التسامح- يدعو الى طيّ صفحة الماضي وفتح صفحة جديدة، لكن لا على حساب الثوابت الدينية والمتبنيات العقدية، فلا مسامحة في عبادة الأصنام والإشراك بالله الواحد القهار، بل على أساس ما تسمح به دائرة التسامح من مرونة وحيوية في أن نغض الطرف عما فعله الآخرون بنا، وإشعارهم بالأمن والسلام في داخل نفوسهم، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فاول شيء فعله رسول الله، صلى الله عليه وآله، يوم فتح مكة، مع كفار قريش أن قال لهم: «اذهبوا فانتم الطلقاء». وقد كان له أن يعاقبهم بما يراه، لشدة ما فعلوا به وباصحابه من الوان العذاب، وتحمّل البلاء الشديد في سبيل دينه ودعوته، ولكنه رسول الله، رسول الرحمة.

ولم يكن هذا العفو والتسامح كما قلنا على أساس التنازل عن ثوابت الرسالة الإلهية والمبادئ الإسلامية، بل كان على أساس تامين الحياة للعيش المشترك. وعلى أساس أن الدين الإسلامي دين سمح يسعى لإقامة الحياة الطيبة لا دين القتل والتنكيل بالآخرين. والدليل على ذلك شعار الأمن والسلم الاجتماعي الذي نادى به رسول الله، صلى الله عليه وآله، يوم فتح مكة وطبقه طيلة حياته الشريفة.

وإليك نصّ الرواية: لما دخل الرسول، صلى الله عليه وآله، وأصحابه مكة كانت إحدى الرايات في يد سعد بن عبادة وهو ينادي برفيع صوته: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحل الحرمة، يا معشر الأوس والخزرج، تاركم يوم الجمل. فاتى العبّاس النبي، صلى الله عليه وآله، واخبره بمقالة سعد. فقال، صلى الله عليه وآله،: ليس بما قال سعد شيء، ثمّ قال للإمام علي، عليه السلام: «ادرك سعداً فخذ الراية منه وادخلها إدخالاً رفيقاً. فاخذ امير المؤمنين، عليه السلام، الراية منه وأخذ ينادي برفيع صوته: اليوم يوم المرحمة، اليوم تُصان الحرمة». (3)

وفي مقابل ذلك ماذا فعلوا برسول الله وابنائه، سلام الله عليهم اجمعين، في يوم عاشوراء حيث نادى المنادي: «احرقوا بيوت الظالمين». (4)

بناء دولة المواطنة

من هنا؛ فإن بناء دولة المواطنة يتطلب من الأفراد أن يكونوا على استعداد للتضحية بما يحقق دولة المجتمع التعاوني. ولذا فعل ما فعل رسول الله، صلى اله عليه وآله، لأجل بناء هذا المجتمع.

إن من أهم الأشياء التي جاء الإسلام من أجل صيانتها والحفاظ عليها هي الأنفس ودماء الآخرين، حتى عُدَّ النفس الإنسانية من ضرورات الدين التي يجب الدفاع عنها وحرمة انتهاكها، ولكن مع ذلك نلاحظ ان القرآن الكريم يحدثنا عن مسالة غاية في الأهمية، وهي مسالة المسامحة والعفو عن الآخرين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (سورة البقرة /187) «إن الله يضع حول شرائعه لمسة إحساس وعاطفة، من اجل الا تكون الأنظمة كلها صارمة وجامدة لا تتوافق مع بعض الظروف... والإسلام دين القانون ودين الرحمة في الوقت ذاته، فهو ذو قانون محدد ولكنه مؤطر بالرحمة». (5)

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على القيمة العليا والكبيرة لمفردة التسامح والعفو عن الآخرين في القرآن الكريم.

والعفو تاج المكارم «وميراث التقوى، والله اعد للمتقين جنات عرضها السموات والأرض، وعلى من اوسع الله عليه من فضله، ان يوسع الناس فضلاً وعفواً ليغفر الله له». (6)

ولا ابالغ إن قلت إن احد ركائز بناء الدولة والمجتمع التعاوني هو قضية التسامح بما تحمل من معاني الصفح الجميل [...فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ]. (سورة الحجر/85). إلى جانب الكثير من المفاهيم الأخرى، كمفهوم العدل، والصبر على الأذى، والاحترام للآخر وتقديره، ومساعدة المحتاجين، ونصرة المستضعفين، ونشر المحبة، والإخاء، والرحمة، والإنصاف، وغيرها.

هذه المفاهيم يستشعرها الإنسان ضمن نسب مختلفة وحسب حاجته لها، فهي تشتد وقت الأزمات وحدوث الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية وتضعف في أوقات أخرى عندما تقل الحاجة لها.

ألا ترون أن الواقع العراقي اليوم بما فيه من قضايا أمنية خطيرة وتفكك اجتماعي وأسري مؤلم، بحاجة إلى مفاهيم كهذه تحقق امنه وسلامته، وتعيد روح الإخاء والتعاون بين أفراد المجتمع، وتقوية العلاقة الأسرية، في ظروف حرجة ينبغي لهذه المفاهيم التنموية أن تكون هي شعار الإنسان اينما وجد، فالبيت الأسري الخالي من هذه العناوين كيف له ان يسير في حياة مستقيمة وهادئة، وبالتاكيد ليس فينا من هو معصوم، فإذا لم يسامح بعضنا البعض على أخطائنا، لا يكون ثمة وجود للاستقرار الأسري، وتصبح العائلة مفككة ومهددة بشتى انواع الانحراف، بسبب الجو المتشنج البعيد عن روح التسامح والعفو والإحسان.

«إن كلمة العفو كلمة مقدسة، وعندما يريد الإنسان أن يصورها لنفسه يشعر بخروج نور يسطع منها، يلامس قلوبَ العارفين... وبناءً على ذلك فمن رأى من اهل داره إساءة ينبغي له أن يعفو ويصفح كي تعمّ المحبة والودّ في هذا الوسط... فلو أساءت زوجته امامه يحاول جاهداً ان يفعل شيئاً يُفهم منه بانه لم يَرَ تلك الإساءة بالمرة كي يعفو عنها، وكذا بالنسبة للزوجة إذ ينبغي لها أن تغض النظر وتصفح عن زوجها إذا ما رات ما يخالف قانون الأسرة المقدس». (7)

والعفو هو المفردة التي أمرنا الله سبحانه بإيفائها، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. (سورة البقرة/219)

وضرورة ان يتخذ الإنسان الطريقة المناسبة للصفح والعفو عن الآخرين وبناء علاقات طيبة قائمة على أساس الاحترام المتبادل، لذلك نلاحظ ان انبياء الله سبحانه وتعالى وأولياءه، عليهم السلام، لم يتعرضوا لخدش مشاعر من يصفحون عنهم ويسامحونهم، بل على العكس كانوا يبعثون برسائل اطمئنان من خلال كلماتهم الصادقة وطهارة قلوبهم العامرة بالإيمان وحب الإنسان ونياتهم المخلصة.

يقال إن يُوسُف، عليه السلام، كان يعاني كثيراً حينما يجلس إلى مائدة الطعام، ومعه إخوانه، وكانت أفكاره تتداعى ويتذكر جريمة إخوانه القبيحة وكيفية إلقائه في غيابت الجبّ، لذا لم يهنأ له عيش، ولم يطب له طعام، وعندها شعر بان إخوانه قد يكونون خجلين منه، فتحدث لهم قائلا: إنكم لو لم تلقوا بي في تلك البئر لما تمكنت من الوصول إلى هذا المكان، إذن أنتم السبب في سعادتي وعزّتي، وأنتم من أوصلني إلى هذا المقام. (8)

درجات التسامح

القرآن الكريم وضح لنا هذه الدرجات بقوله: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (سورة التغابن/14) بمعنى اننا أمام ثلاث درجات للتسامح:

1 – العفو
2 – الصفح
3 – الغفران

«وهذه درجات لصفة واحدة هي التنازل عن الحقوق الشخصية بالسماحة وسعة الصدر لصالح الأسرة.

وينبغي للمؤمن أن يسمو بنفسه إلى آفاق الحلم والسماحة تخلقا بأخلاق الله، ويتحمل بعض الإساءات... ويغفر للمتسامحين ويرحمهم، وهي أعلى درجات التسامح.

وتحسس المؤمن بحاجة إلى غفران الله ورحمته لا شك يدعوه للتلطف بمن هو تحت يده وقدرته». (9)

آثار التسامح

لهذه الصفة والملكة الاخلاقية والانسانية، آثار وضعية في حياة المجتمع، كما لها آثار معنوية في النفوس، نذكر منها:

1 – من عفا عفا الله عنه.
2 – التسامح يقوي الأواصر الاجتماعية.
3 – التسامح يوحد المجتمع ويجعله مجتمعا تعاونيا متماسكا.
4 – التسامح يفتح الآفاق لحياة جديدة مبنية على الحب والسعادة واحترام الآخر.
5 – التسامح دليل التحضر والإنسانية.
6 – التسامح يزرع البهجة في النفوس ويعمر القلوب بحب العمل للغير ومساعدته.
7 – التسامح يولد الأمن والاستقرار.
8 – التسامح يسمو بصاحبه لأن يجعله ناكرا للذات ورافضا للأنا.
9 – التسامح يزيل الكراهية والأحقاد الدفينة.
10 – التسامح اداة لبناء الدولة.
11 – التسامح والعفو يؤصلان للمحبة والمودة والتواصل الدائم بين ابناء المجتمع، بعكس القسوة والغلظة، فإنها تزيد من بث الشحناء والنفرة في المجتمع وتقتل التواصل والألفة والمحبة.
12 – المسامح اجره على الله، وليس على شخص آخر: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، (سورة الشورى/20) هذه بعض آثار التسامح التي نامل ان نجد صورها في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم وخصوصا في مجتمعنا العراقي، ففي خضم الأحداث التي تعصف به من كل جانب، لا سبيل لنا إلا أن ننتهج النهج القرآني في إشاعة روح التسامح والأخوة والمحبة والسلام.

والكتاب العزيز يدعو إلى إقامة المجتمع التعاوني، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. (سورة المائدة/2).

مساجد الإسلام .. في كل مكان

المسجد الكبير بروما

مسجد روما الكبير يقع في الجزء الشمالي من روما، في منطقة البريولي، وهو يشكل أكبر مسجد في أوروبا، مساحته تزيد على 30 000 متر مربع، ويمكن أن تستوعب الآلاف من المصلين ويضم المركز الثقافي الإسلامي في إيطاليا. بالإضافة إلى أنه نقطة تجمعية ومرجعية في المجال الديني، يضم أيضاً خدمات ثقافية واجتماعية متصلة بطرق مختلفة مع العقيدة الإسلامية : احتفالات زواج، جنازة وتاويل (Exegesis)، ومؤتمرات، وما شابهة ذلك.

تكلفة البناء ارتفعت في عام 1991 إلى أكثر من 60 مليار لير إيطالي [1]، إلا أن العمل كان لا يزال بعيدا عن الهدف. بعد حرب الخليج، المملكة العربية السعودية، التي قامت بتمويل كل عمل حتى الآن تقريبا، أغلقت البورصا. بعد ذلك تولى ملك المغرب الحسن الثاني بدفع 30 مليار لير، ولكن بشرط ان تمتنع الشركات الإيطالية عن العمل والذي سيقوم به شركات مغربية، نحو 300 عامل قاموا باعمال الديكور الداخلي، والذي نفذ على نمط مسجد الدار البيضاء.[2][3]

مول المسجد الملك فيصل، رئيس العائلة المالكة وخادم الحرمين الشريفين بالإضافة إلى الحسن الثاني ملك المغرب.

التصميم والاشراف قام به المعماريون: باولو بورتوغيزي وفيتوريو جيليوتي وسامي الموسوي.

البناء تطلب مدة تزيد عن عقدين من الزمن

الأرض منحت من بلدية مدينة روما في عام 1974، إلا أن حجر الأساس وضع في وقت لاحق، في عام 1984 (عام 1405 هجري)، وبحضور من رئيس الجمهورية آنذاك، ساندرو بيرتيني

الافتتاح كان في 21 يونيو 1995، وهو يوم انقلاب الشمس الصيفي.

مساحة المركز – 13.800 متر مربع، يضم كتلتين:

الأولى عبارة عن قاعة صلاة مستطيلة الشكل ضلعه الأكبر موجه باتجاه القبلة.

الثاني يضم بقية خدمات المركز، ومرافق الوضوء تحت قاعة الصلاة. هناك قناة مائية ممتدة على طول ضلع الكتلة الثانية وتصل هذه القناة بين بركتين: إحداهما في الجهة الشمالية والأخرى في محور المركز. المنارة واقعة بين الكتلتين باتجاه جنوب غرب قاعة الصلاة.

قاعة الصلاة تضم باتجاه متعامد مع القبلة طابقين عرضهما يساوي عرض القاعة، وذلك للنساء للصليات، أما الطول فيساوي ربع طول القاعة الأساسية.

الكتلة الثانية تضم ثلاث طوابق وأروقة تحتل الطابق العلوي وهي على شكل صحن صفوف، التي تشكل صحن المركز.

الطوابق أسفل الأروقة قسمت إلى أربعة أجنحة تضم الصفوف والمنامات والمكاتب وقاعة صلاة صغيرة ومخزن ومكتبة ومنامة الإمام. ويضم المركز أيضا خدمات طبية عالية وأطباء متطوعين.

الشكل العام يتبع الشكل التقليدي للمساجد. قاعة الصلاة مغطاة بقبة مركزية ضخمة محاطة ب 16 قبب اصغر حجما.

الأعمدة. تشكل مساحات رمزية للرواق. كل عمود يضم، كرزمة، أربعة أعمدة التي تتفرع، في الجزء العلوي لتفس العمود، وتنحني خارجيا مشكلة أربعة فروع منحنية إلى الأعلى كاغصان الشجر. وهذه الأعمدة تشكل العناصر الخارجية والداخلية المميزة للمسجد. يدخل الضوء الطبيعي للقاعة من سلسلة من الفتحات الموجودة في القبة

ومازالت آيات الله تترى .. والمشركون مطبوع على قلوبهم

«وجعلنا من الماء كل شيء حي»

يقدّر علماء الجيولوجيا كمية الماء الموجودة على الأرض بستة عشر بليون كيلومتر مكعب أو ما يساوي ستة عشر بليون بليون طن أي أن نسبة كتلته إلى كتلة الأرض تبلغ خمسة وعشرون بالألف. ويوجد القسم الأكبر من هذه الكمية والتي تقدر بثلاثة عشر بليون كيلومتر مكعب في طبقات الأرض الواقعة تحت القشرة الأرضية وهي موجودة على شكل بخار ماء مضغوط وذلك بسبب الحرارة العالية لباطن الأرض. أما الكمية المتبقية والتي تقدر بثلاثة بلايين كيلومتر مكعب فإن نصفها يدخل في تركيب الصخور والمعادن الموجودة في القشرة الأرضية بينما يوجد النصف الآخر في المحيطات والبحار والأنهار. ويتجمع معظم الماء الموجود على سطح الأرض في محيطات وبحار الأرض إلا أن هناك ما يقرب من مائة مليون كيلومتر مكعب من الماء موجودة على اليابسة في تجاويف القشرة الأرضية وفي البحيرات والأنهار والتربة على شكل سائل وفي المناطق الجبلية والجليدية على شكل جليد. ويعتقد العلماء أن الماء الموجود على سطح الأرض قد خرج من باطنها فبعد أن تكونت القشرة الأرضية الصلبة بدا الماء يخرج من باطن الأرض على شكل بخار مع الحمم التي تقذفها البراكين من باطن الأرض إلى سطحها وذلك مصداقا لقوله تعالى «والأرض بعد ذلك دحاها اخرج منها مائها ومرعاها» النازعات 30-31. ويقدر علماء الجيولوجيا كمية الماء الذي يخرج من باطن الأرض في السنة الواحدة بحوالي كيلومتر مكعب واحد أو ما يعادل الف مليون طن ويعتقدون أن هذه الكمية كافية لتشكيل الاحتياطي الإجمالي للماء على سطح الأرض بمرور بلايين السنين على نشاة الأرض.

لقد كان هذا الماء عند اول نشاة الأرض على شكل بخار يملأ جو الأرض الأولي بسبب ارتفاع درجة حرارة سطح الأرض في تلك الحقبة من الزمن وبعد أن برد هذا السطح بدأ بخار الماء بالتكثف ليسقط على شكل امطار غزيرة لعبت دورا كبيرا في تشكيل بعض تضاريس الأرض كالأودية والسهول الغنية بالتراب. ولو أن جميع ما في الأرض من ماء قد خرج من باطنها واستقر على سطحها لما وسعته المحيطات ولوصل ارتفاع الماء فوق سطح الأرض إلى ثلاثين كيلومتر ولكن من لطف الله بالناس أن تسعين بالمائة من هذا الماء لا زال محبوساً كبخار تحت القشرة الأرضية. ويقوم هذا المخزون الضخم من الماء المحبوس تحت القشرة الأرضية بتعويض كمية الماء الموجودة على السطح إذا ما نقص بسبب هروب بعضه إلى الفضاء الخارجي أو اتحاده بشكل دائم مع بعض العناصر والمركبات الأرضية. ولو أن الأرض بقيت على شكل كرة ملساء كما كان حالها عند بداية خلقها لغطت كمية الماء الموجودة على سطحها فقط جميع سطح الأرض بارتفاع ثلاثة كيلومترات. ولكن بتقدير من الله عز وجل وبسبب ضغط الماء الهائل على قشرة الأرض التي كانت طرية ورقيقة عند بداية تكونها فقد بدا جزء من سطح الأرض بالانخفاض تحت وطأة هذا الضغط مما جلب مزيداً من الماء لهذا الجزء الذي واجه مزيداً من الانخفاض، وقد توالت هذه العملية حتى تجمع الماء في جهة واحدة من سطح الأرض وانحسر عن الجزء المتبقي من السطح الذي ارتفع مستواه بسبب الضغط المعاكس على القشرة من داخل الأرض مكونا اليابسة. ولقد تاكدت هذه الحقيقة بعد اكتشاف علماء الجيولوجيا أن المحيطات الحالية كانت محيطا واحدا وكذلك القارات التي كانت قارة واحدة ولكن وبسبب حركة الصفائح التي تتكون منها القشرة الأرضية بدأت القارة الأولية بالانقسام إلى عدة قارات بشكل بطيء جدا بما يسمى ظاهرة انجراف القارات.